الدرس السابــع/ عيون البصائـر: لمحمد البشيـر الإبراهيمي

أولا/ التعريف بالشيخ البشير الإبراهيمي:

ولد(**البشير الإبراهيمي**) يوم 14 جوان(1889م) الموافق (14شوال 1306هـ) بقرية(**أولاد ابراهم**) برأس الوادي جنوب مدينة سطيف من الشرق الجزائري، نشأ في بيت محافظ معروف بالعلم والدين في منطقته،إذْ تلقى تعليمه الأول على يد كل من والده وعمه الشيخ(المكي الإبراهيمي)الذي كان علامة زمانه في اللغة العربية، فحفظ الكثير من المتون والدواوين الشعرية وتفوق في العلوم العربية، فضلا عن حفظه القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره. وفي أواخر سنة(1911) هاجر إلى المدينة المنورة ومرّ في طريقه(**بالقاهرة**) وحضر فيها عدّة مجالس علم في جامع الأزهر. وبعد وصوله المدينة المنورة تزود علمًا كثيرًا على أيدي مشايخ كبار وعلماء عظام ما زاد في نبوغه وتحصيله. وهناك(بالمدينة المدينة) التقى بالشيخ(**عبد الحميد بن باديس**)،وكان ذلك (سنة1913) أثناء موسم الحج، وعند عودتهما إلى الجزائر باشرَا يضعان الأسس الأولى(لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي ظهرت إلى الوجود (سنة1931م)، وقد ترأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، وبعد وفاته تمّ انتخاب البشير الإبراهيمي رئيسًا لها، وهو في المعتقل حتى أفرج عنه. وتوفي الشيخ محمد البشير الإبراهمي بعد الاستقلال وهو رهن الإقامة الجبرية يوم الخميس(20 ماي1965) ودفن بمقبرة سيدي محمد في العاصمة، الجزائر.

ثانيـا/ مؤلفـاتـــــــــــه: من آثاره الفكرية المطبوعة(**عيون البصائر**)، وهي مجموعة المقالات التي كتبها افتتاحيات لجريدة البصائر في سلسلتها الثانية ابتداء من(عام 1947م)، وقد ركزت هذه المقالات بصورة رئيسية على الرجوع إلى الصلة العربية الإسلامية للشخصية الجزائرية، وكان يهدف من وراء ذلك إلى تثبيت تلك<< في نفوس الأجيال الجزائرية التي كانت في المحركة أو التي كانت في الظل.. كانت المعركة ضد الاستعمار الفرنسي والتي كانت تتأهب لخوضها>>.

وهناك مخطوطات لم تنشر تتعلق بشؤون لغوية وأدبية منها:(أسرار الضمائر العربية)،(التمسية بالمصدر)،(الاطراد والشذوذ في اللغة)،(كاهنة الأوراس) وله أيضا(**أرجوزة**

شعرية) طويلة تتألف من ستة وثلاثين ألف بيت، ضمنها تقاليد الشعب الجزائري وعادته وصور فيها واقعه وآلامه وآماله.

ثالثا/ الظواهر الإصلاحية في كتاب (عيون البصائر):

يعدّ الشيخ (البشير الإبراهيمي) من أبرز رواد الإصلاح في الجزائر، وقد ساهم إسهامًا كبيرا في حفظ

معالم هوية الشعب الجزائري، والتأكيد على أصالته وجذوره العربية الإسلامية، ودفاعه المستميت عن اللغة العربية والإسلام.. لذلك تحمل**"عيون البصائر"** أبعادًا إصلاحية مختلفة، نقف عند أهمها:

أ/ البعد الديني: تحمل"عيون البصائر"بعدًا دينيًا يظهر بشكل جلي في مختلف القضايا التي عالجها الشيخ **(محمد البشير)** خاصة السياسية والاجتماعية. ففي هذا الجانب دعا في أكثر من عشرين مقالا إلى مسألة **(**فصل الدين عن الدولة**)** وطالب الإدارة الاستعمارية بعدم التدخل في شؤون المسلمين يقول:<<إنّ ابتلاعها لأوقافنا الدينية والخيرية ظلم والظلم لا يدوم>>. وفي الجانب الثاني نجده جنّد نفسه وسخر مقالاته لمحاربة البدع والضلالات، فهي مصدر الفساد الذي أصاب الدين، والعباد، يقول: <<عاهدنا الله أن نطهر دينه من الداخل والخارج... لذلك حملنا حملتنا المشهورة على البدع والضلالات>>. ومن أكثر الضلالات التي تمارسها الفرق المنحرفة من المشعوذين، وبتشجيع من السلطة الاستعمارية هو إقامة تظاهرات تعرف باسم**(الزردة)** التي قال عنها البشير الإبراهيمي:<<هذه الزردة التي تقام في طوال العمالة الوهرانية وعرضها هي أعراس الشيطان وولائمه>>. كما يتجلى البعد الديني في حديثه عن عدة قضايا أهمها القضية الفلسطينية التي كان مدفوعًا لها بنزعة إيمانية، وكذا دفاعه عن القضايا الإسلامية المختلفة داخل الوطن وخارجه.

ب/ البعد الوطني: إنّ القضية الأولى والأساس التي دفعت(الشيخ الإبراهيمي) إلى تأليف كتاب (عيون البصائر) هي القضية الوطنية الأم، لذلك يصرح بأنّ هدفه من السياسة،

إنّما هو:<< إيجاد أمة تتشبث بمقوماتها وذاتيتها الوطنية التي هي شرط لوجودها واستمرارها>>.

ج/ البعد التعليمـــــي: أعطى الشيخ أهمية كبرى للتعليم، وندب نفسه طوال معظم حياته لتعليم الناشئة وبالأخص **تعليم اللغة العربية(**التي هي مقوم من المقومات الأساسية للشعب الجزائري**)**، وهذا التعليم منعته السلطة الاستعمارية الفرنسية بالقوة وهو ما استنكره وبشدة يقول:<<هذه القضية التي نصفها اليوم شهادة ظاهرة على ظلم الاستعمار، ونموذج من تعنته ومصادرته للحق وبيان واضح لطريقة من طرائقه في محاربة الدين والعلم، و وسيلة من وسائله في قتل معنويات الشعوب، وعنوان على مغازيه التي منها أن يعتبر الإسلام غريبًا وهو في داره والعربية أجنبية وهي في منبتها>> .

أولى" الإبراهيمي" للتعليم أهمية كبرى، لأنّ عدو الاستعمار هو التعليم الذي يعتبر السبيل الأعظم في القضاء على الاستعمار ونيل الحرية والاستقلال، كما أنّه متيقن بأنّ أساس النهضة هو العلم والتعليم يقول<< إنّك لا تنهضين إلا بالعلم وإن أية نهضة لا يكون أساسها العلم هي بلا أساس ولا دعامة>>.

رابعـا/ الظـواهـر الفـنيـة في كتاب (عيـون البصائـر):

1/ النـزعــة الخطـابيـــــــة: إنّ طغيان الانفعال الذي هو انعكاس للصدق،يدفع (بالشيخ الإبراهيمي) حتّى وهو يكتب مقالة أو يلقي محاضرة، ومن ثمّ يلحظ أنّ بعض تلك المقالات تحولت فعلاً إلى خطب حماسية لاهبة، يحشد لها الكاتب كل الأدوات البلاغية المجسدة لهذه النزعة الخطابية، وقد يتجلى ذلك في مواقف تستدعي الحزم والصرامة، وشحذ الهمم، وتتطلب الحسم والبتر، كما جاء ذلك في مقالاته عن العرب وفلسطين، أو في مقالاته عن دور الأحزاب المتصارعة والمتناطحة في**(جزائر)** ما بعد(الحرب العالمية الثانية).

2 ـ ظـاهـرة التهــكم والسخـريـــة: من أبرز الخصائص التي تميز بها أسلوب(البشير الإبراهيمي) ما يشيع في تعابيره من سخرية وتهكم،لاذعيْن حينًا مقبوليْن حينًا آخر، حيث كان لاذع التهكم ومرير، بارع السخرية رائعها، وهذه الخاصية تتوزعها مقالاته الطويلة، لا

سيما التي خصصها للحديث عن الاستعمار الفرنسي وأعماله ورجاله، أو تلك التي يتحدث فيها عن مواقف مناوئية لجمعية العلماء المسلمين وغيرها أو تلك التي يصف فيها الواقع المزري تجاه القضية الفلسطينية.

3ــ ظـاهــرة التنــاص: ارتكزت الثقافة العربية عند(الإبراهيمي) على قاعدة **القرآن الكريم** الذي حفظه كله عن ظهر قلب، ودأب على تدارسه والمتمعن في معانيه، والمتذوق لبيانه، فظهر ذلك كله في نفسه وقلبه وفكره ولسانه، فهو بالنسبة إليه المورد والمصدر، منه يستقي وإليه يعود، ضف إلى ذلك ثقافة الشيخ(البشير) الأدبية والتاريخية الواسعة والمتبحرة في أمهات المتون الأدبية والتاريخية.. .

وإذا ما عدنا إلى كتاب**"عيون البصائر"** تتفاعل النصوص الحاضرة مع غيرها من النصوص الدينية والأدبية والتاريخية.. وأبرزها القرآن الكريم، والبداية من العنوان الذي وردت فيه كلمة **(البصائر)** المتناصة مع قوله تعالى<< قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِنْ رَّبِّكُمْ فَمَنَ اَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا، وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ>>. كما تنفتح مقالات**"**عيون البصائر**"**على آيات القرآن في كثير من المواضع، وهذا راجع لحفظه للقرآن الكريم وثقافته الدينية الواسعة. بالإضافة إلى ثقافته الدينية،يكشف التناص عن ثقافه الأدبية خاصة حين العودة إلى التراث الشعري العربي، هذا إلى جانب أنواع أخرى كالتناص التاريخي... لتدل كلها على ثقافة **(الشيخ الإبراهيمي)** الموسوعية وقوة تأثره وتبحره في التراث العربي.